غزوه أحد

في الخامس عشر من شهر شوال سنة ٣ هـ، وقعت غزوة أحد، وأحد جبل يبعد عن المدينة المنورة ميلين أو ثلاثة. ويسمّى بذلك لانفراده وانقطاعه عن جبال أخر هناك، وهو الذي قال فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين وقع نظره إليه: (اُحُد جبل يحبّنا ونحبّه) عوالي اللئالي: ج١، ص١٧٧.

سبب هذه الغزوة :

بعد الهزيمة القاسية التي مُني بها المشركون في معركة بدر حيث أصابهم ما أصابهم من القتل والأسر، فقد قُتل منهم سبعون شخصا وأُسر سبعون آخرون، وعندما رجعت قريش من بدر إلى مكة منعهم أبو سفيان من البكاء والنوح على قتلاهم ليبقوا على حَنَقهم وغيظهم ويفكّروا في الثأر لقتلاهم، وقال تأكيداً لذلك: الدهن والنساء عليَّ حرام حتّى أغزو محمداً، وهكذا ألّبَ قريش الناس على المسلمين وحرّكتهم لمقاتلتهم وسرت نداءات (الانتقام الانتقام) في كل نواحي مكة.

وفي السنة الثالثة للهجرة عزمت قريش على غزو النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وخرجوا من مكة في ثلاثة آلاف فارس وألفي راجل، مجهزين بكل ما يحتاجه القتال الحاسم، وأخرجوا معهم النساء والأطفال والأصنام، ليثبتوا في ساحات القتال.

العباس يرفع تقريرا إلى النبي (ص)

لم يكن العباس عم النبي قد أسلم إلى تلك الساعة، بل كان باقيا على دين قريش، ولكنه كان يحب ابن أخيه غاية الحب، ولهذا فإنه عندما عرف بتعبئة قريش وعزمهم الأكيد على غزو المدينة ومقاتلة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، بادر إلى إخبار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن طريق إرسال رسالة عاجلة يذكر فيها الموقف في مكة وعزم قريش.

النبي يشاور المسلمين

لما تأكد النبي (صلى الله عليه واله) من وجود قوات كبيرة يقودها أبو سفيان تزحف باتجاه المدينة استدعى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جميع أصحابه وأهل المدينة لدراسة الموقف، وما يمكن أو يجب اتخاذه للدفاع، وبحث معهم في أمر البقاء في المدينة ومحاربة الأعداء الغزاة في داخلها، أو الخروج منها ومقاتلتهم خارجها، ولقد كان هناك خلاف شديد في الرأي بين المسلمين في هذه الأمور، فاختار النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بعد المشاورة رأي الأغلبية، والتي كانت تتألف - في الأكثر - من الشباب المتحمسين، وهو الخروج من المدينة ومقاتلة العدو خارجها، بعد الاستقرار عند جبل (أحد) باعتباره أفضل مكان من الناحية العسكرية والدفاعية ..

المسلمون يتهيؤون للدفاع

تولّى النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بنفسه قيادة المقاتلين وقد أمر بأن تعقد ثلاثة ألوية، دفع واحدا منها للمهاجرين، واثنين منها للأنصار، ثم إن النبي (صلى الله عليه وآله) قطع المسافة بين المدينة و(أحد) مشيا على الأقدام، وكان يستعرض جيشه طوال الطريق، ويرتب صفوفهم، وبعد أن وصل استقر عند الشعب من (أحد) في عَدوة الوادي وجعل (أحدا) خلف ظهره واستقبل المدينة. وبعدَ أن صلى بالمسلمين الصبح صفَّ صفوفهم وتعبأ للقتال، فأمّر على الرماة «عبد الله بن جبير» والرماة خمسون رجلا جعلهم (صلى الله عليه وآله وسلم) على الجبل خلف المسلمين وأوعز إليهم قائلا :(إن رأيتمونا قد هزمناهم حتى أدخلناهم مكة فلا تبرحوا من هذا المكان، وإن رأيتموهم قد هزمونا حتى أدخلونا المدينة فلا تبرحوا وألزموا مراكزكم).

ومن جانب آخر، وضع أبو سفيان « خالدَ بن الوليد « في مأتي فارس كمينا يتحينون الفرصة للتسلل من ذلك الشعب ومباغتة المسلمين من ورائهم.

بدء القتال :

اصطفَّ الجيشان للحرب فصاح طلحة بن أبي طلحة وهو صاحب لواء المشركين: مَنْ يُبارز؟ فبرز إليه علي بن أبي طالب (عليه السلام) فبدره بضربة على رأسه فقتله، ثم تقدّم بلواء المشركين أخوه والنساء خلفه يحرّضن ويضربن بالدفوف فتقدم نحوه حمزة عم النبي (صلى الله عليه وآله) وضربه ضربة واحدة وصلت إلى رئته فمات، وبدأ القتال وحمل المسلمون على المشركين حملة شديدة هزمتهم شر هزيمة، وألجأتهم إلى الفرار وراح المسلمون يتعقبونهم ويلاحقون فلولهم، وفي إرشاد المفيد: كان أصحاب اللواء يوم أحد تسعة قتلهم علي (عليه السلام) عن آخرهم. ولمّا علم (خالد) بهزيمة المشركين وأراد أن يتسلل من خلف الجبل ليهجم على المسلمين من الخلف رشقه الرماة بنبالهم ، وحالوا بينه وبين نيته.

هذه الهزيمة التي لحقت بالمشركين دفعت ببعض المسلمين الجديدي العهد بالإسلام إلى التفكير في جمع الغنائم والانصراف عن الحرب، بظن أن المشركين هُزموا هزيمة كاملة، حتى أن بعض الرماة تركوا مواقعهم في الجبل متجاهلين تنكير قائدهم «عبد الله بن جبير» إياهم بما أوصاهم به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يبق معه إلا قليل، فتنبه (خالد بن الوليد) إلى قلة الرماة في ذلك المكان، فكرّ راجعا بالخيل (وعددهم مائتا رجل كانوا معه في الكمين) فحملوا على « عبد الله بن جبير » ومن بقي معه من الرماة وقتلوهم بأجمعهم، ثم هجموا على المسلمين من خلفهم، وفجأة وجد المسلمون أنفسهم وقد أحاط بهم العدو بسيوفهم، وداخَلَهم الرعب، فاختل نظامهم، وأكثَرَ المشركون من قتل المسلمين، وألحقوا بهم ضربات مؤلمة، حتى إنهم كسروا رباعية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وشجوا جبينه المبارك، واستشهد - في هذه الكرة - طائفة من أصحاب النبي الشجعان، وفرّ بعضهم خوفا، ولم يبقَ حول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سوى نفر قليل جدا يدافعون عنه ويردّون عنه عادية الأعداء، وكان أكثرهم دفاعا عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وردا لهجمات العدو، وفداء بنفسه هو « الإمام علي بن أبي طالب » (عليه السلام) الذي كان يذبّ عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الطاهر ببسالة منقطعة النظير، حتى أنه تكسّر سيفه فأعطاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سيفه المسمى بذي الفقار، ثم تترس النبي بمكان، وبقي علي (عليه السلام) يدفع عنه حتى لحقه - حسب ما ذكره المؤرخون - ما يزيد عن ستين جراحة في رأسه ووجهه ويديه وكل جسمه المبارك، وفي هذه اللحظة قال جبرائيل « إن هذه لهي المواساة يا محمد » فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) « إنه مني وأنا منه » فقال جبرائيل: « وأنا منكما » . قال الإمام الصادق (عليه السلام): نظر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى جبرائيل بين السماء والأرض وهو يقول: « لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي » تفسير مجمع البيان المجلد الأول الصفحة ٤٩٧.

شهادة الحمزة (عليه السلام)

كان الحمزة بن عبد المطلب عم النبي (عليه السلام) يحمل على القوم، فإذا رأوه انهزموا ولم يثبت له أحد، وكانت هند قد أعطت وحشياً عهداً: بأنه إن قتل محمداً، أو علياً، أو حمزة، لأعطته رضاه. فقال وحشي: أما محمد فلا أقدر عليه، وأما علي فرأيته رجلاً حذراً كثير الالتفات فلم أطمع فيه، وأمّا حمزة فإني أطمع فيه، لأنه إذا غضب لم يبصر بين يديه.

ويقول وحشي: واللهِ إني لأنظر إلى حمزة يهدّ الناس بسيفه ما يلقي أحداً يمر به إلا قتله فهززت حربتي فرميته فوقعت في أربيته [أصل الفخذ] حتى خرجت من بين رجليه فوقع فأمهلته حتى مات وأخذت حربتي وانهزمت من المعسكر.

وروي أن هند وقعت على القتلى ولما وصلت إلى حمزة بقرتّ بطنه وأخرجت كبده، فلاكته فلم تستطع أن تسيغه فلفظته، كما قطعت أصابعه وأنفه وأذنيه وجعلتها قلادة لها، ولما رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما صنع بحمزة انتحب وتأذى لذلك كثيرا .

من الصائح (قُتل محمد)؟

وفي أثناء المعركة صاح صائح: قتل محمد، ويذهب بعض المؤرخين إلى أن « ابن قمئة » الذي قتل الجندي الإسلامي البطل « مصعب بن عمير » وهو يظن أنه النبي، هو الذي صاح « واللات والعزى: لقد قتل محمد » . وسواء كانت هذه الشائعة من جانب المسلمين، أو العدو فإنها - ولا ريب - كانت في صالح الإسلام والمسلمين لأنها جعلت العدو يترك ساحة القتال ويتجه إلى مكة بظنه أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد قتل وانتهى الأمر، ولولا ذلك لكان جيش قريش الفاتح الغالب لا يترك المسلمين حتى يأتي على آخرهم لما كانوا يحملونه من غيظ وحنق على النبي، بل ولما كانوا يتركون ساحة

القتال حتى يقتلوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنهم لم يجيئوا إلى (أحد) إلا لهذه الغاية.

لم يرد ذلك الجيش الذي كان قوامه ما يقارب خمسة آلاف - وبعد تلك الانتصارات - أن يبقى ولو لحظة واحدة في ساحة القتال، ولذلك غادرها في نفس الليلة إلى مكة، وقبل أن يندلع لسان الصباح.

إلا أن شائعة مقتل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أوجدت زلزالا كبيرا في نفوس بعض المسلمين، ولذلك فر هؤلاء من ساحة المعركة، وأما من بقي من المسلمين في الساحة فقد عمدوا - بهدف الحفاظ على البقية من التفرق وإزالة الخوف والرعب عنهم - إلى أخذ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الشعب من (أحد) ليطلع المسلمون على وجوده الشريف ويطمئنوا إلى حياته، وهكذا كان، فإنهم لما عرفوا رسول الله عاد الفارون وآب المنهزمون واجتمعوا حول الرسول ولاممهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على فرارهم في تلك الساعة الخطيرة، فقالوا يا رسول الله أتانا الخبر بأنك قتلت فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين.

وهكذا لحقت بالمسلمين - في معركة أحد - خسائر كبيرة في الأموال والنفوس، فقد قتل منهم في هذه الموقعة اثنان وسبعون من المسلمين في ميدان القتال، كما جرح جماعة كبيرة، ولكنهم أخذوا من هذه الهزيمة والنكسة درسا كبيرا ضَمِن انتصاراتهم في المعارك القادمة.

أبرز عوامل الهزيمة في أحد

١ - الخطأ في المحاسبة عند بعض المسلمين الحديثي العهد بالإسلام في فهم مفاهيمه وتعاليمه، حيث إنهم تصوروا أن إظهار الإيمان وحده يكفي لتحقيق الانتصار، وإن الله - لذلك - سينزل عليهم نصره، ويمدهم بالقوى الغيبية في جميع الميادين، ولهذا تناسوا وتجاهلوا السنن الإلهية في مجال الأسباب الطبيعية للانتصار من اختيار الخطة الصحيحة، وإعداد القوى اللازمة، واليقظة القتالية.

٢ - عدم الانضباط العسكري ومخالفة أوامر النبي القائد (صلى الله عليه وآله وسلم) المشددة للرماة بالبقاء في الثغر من الجبل، والذبّ عن ظهور المسلمين وقد كان هنا هو العامل الحقيقي المؤثر للهزيمة.

٣ - حب الدنيا والحرص على الحطام الذي دفع بعض المسلمين الحديثي العهد بالإسلام إلى الانصراف إلى جمع الغنائم، وترك ملاحقة العدو، ووضع الأسلحة حتى لا يتأخروا عن الآخرين في حيازة الغنائم، والحال أن الجهاد في سبيل الله يستدعي نسيان جميع هذه الأمور والتوجه بالكامل إلى الهدف الرئيس وهو القتال.

٤ - الغرور الناشئ عن الانتصار الساحق واللامع في معركة بدر إلى درجة أنه أنسى بعض المسلمين قوة العدو، وجعلهم يحتقرون تجهيزاته وطاقاته، ويستصغرون شأنه. تفسير الامثل للشيرازي ج٢ ص٦٧٤

غزوة بني قينقاع

لما أصاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) أصحاب بدر وقَدِم المدينة، بغت يهود (بني قينقاع) وقطعت ما كان بينها وبين النبي (صلى الله عليه وآله) من عهد، وكانوا أول من غدر من اليهود.

ثم انهم لم يكتفوا بذلك حتى إذا جاءت امرأة من العرب كانت تحت رجل من الأنصار إلى سوق بني قينقاع وجلست عند صائغ في حليٍّ لها، جاء رجل من يهود قينقاع فجلس من ورائها وهي لا تشعر فربط ثوبها إلى ظهرها بشوكة، فلما قامت المرأة بدت عورتها فضحكوا منها، فقام رجل من المسلمين واتبع (الرجل اليهودي الذي فعل ذلك بها) فقتله! فاجتمعت بنو قينقاع على المسلم فقتلوه! وبذلك حاربوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ونبذوا العهد بينهم وبينه.

فاستخلف النبي (صلى الله عليه وآله) على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر، وسار إليهم فحاصرهم في حصنهم خمس عشرة ليلة أشد الحصار ابتداءً من يوم السبت للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا (من الهجرة) إلى هلال ذي القعدة وكان لواء رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع عمه الحمزة بن عبد المطلب وهو لواء أبيض، ولقد كانوا أشجع اليهود ولكنهم لزموا حصنهم فما رموا بسهم ولا قاتلوا إذ قذف الله في قلوبهم الرعب، فقالوا: أفننزل وننطلق؟ قال رسول الله: لا، إلاّ على حكمي. فنزلوا على صلح رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحكمه، على أن تكون أموالهم لرسول الله وكانوا صاغة، فكانت لهم آلات صياغة وسلاح كثير، ولم تكن لهم مزارع ولا أرضون فكانت أموالهم لرسول الله، ولهم الذرية والنساء فلما نزلوا وفتحوا حصنهم، أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأخذ اموالهم وأن يربطوا حتى يقتلوا، فكانوا يكتفون كتافا.

ولكن النبي (صلى الله عليه واله) قَبِل شفاعة بعض المسلمين فيهم فترك قتلهم، وأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) عبادة بن الصامت أن يخرجهم من المدينة بعد أن طلبوا إمهالهم ثلاثة أيام ليأخذوا ديونهم من الناس.

وقبض محمد بن مسلمة أموالهم وخمَّسَ رسول الله (صلى الله عليه واله) ما أصاب منهم (وهو أول خمس خمَّسه بعد آية الخمس) وقسَّم ما بقي على أصحابه.

قسم الشؤون الدينية / شُعبَة التَبليغ

www.imamali-a.com

tableegh@imamali.com

07700554186

تصميم قسم الاعلام / شعبة الصحافة

دار الضياء للطباعة - النجف الاشرف - 07801000603

غزوة أحد وبني القينقاع

قسم الشؤون الدينية

شعبة التبليغ

سلسلة اصدارات المناسبات السنوية

(٣)

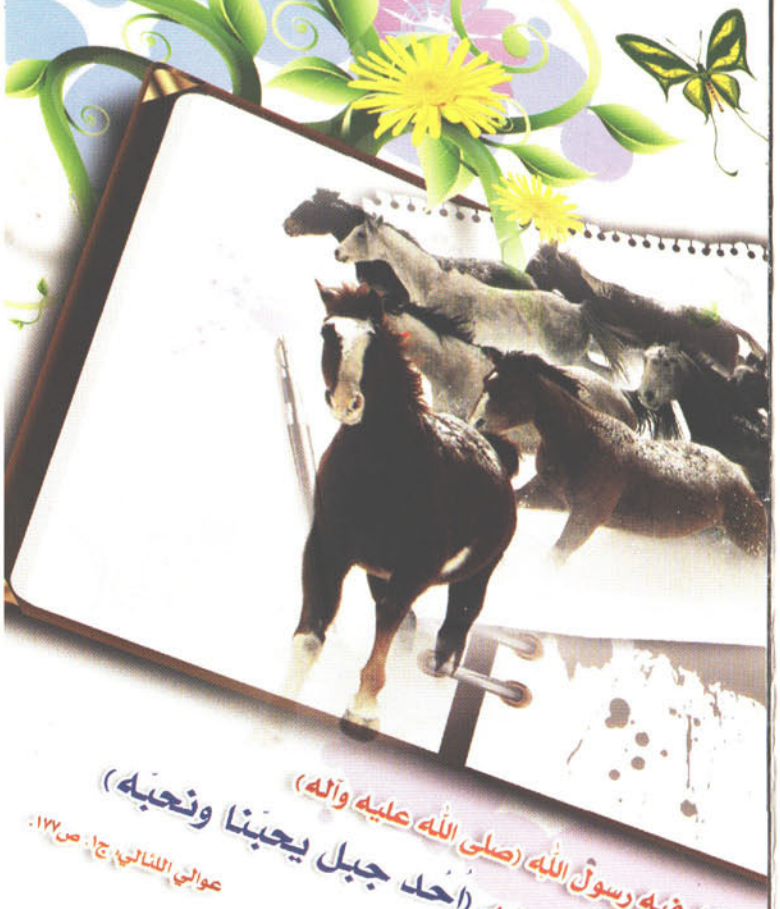

قال فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله)

حين وقع نظره إليه: (أحد جبل يحبنا ونحبه)

عوالي اللئالي، ج١: ص١٢٧